بسم الله الرحمن الرحيم

الموضوع :

من معطيات
الثقافة الأسلامية
ودورها فى نهضة أوربا وحضارتها

د. مرسى شعبان السويدى
مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية
بكلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية

بسم الله الرحمن الرحيم

من معطيات الثقافة الإسلامية

بقلم : د مرسى شعبان السويدى
مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية بالكلية

ودورها فى نهضة اوربا وحضارتها

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وصفوة الخلق أجمعين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيل المؤمنين معهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

فإن من أهم القضايا وأخطرها فى تاريخ الإنسانية« قضية الثقافة».

وليس أكثر منها قضية فى حياتنا مثار الحوار والجدل، وليس أكثر منها فى نفس الوقت تعرضا للظلم والافتئات من جانب نفر من الذين يلبسون مسوح الثقافة.

ولعل قضية الثقافة الإسلامية- بالذات- تحظى من بين الثقافات جميعها بأكبر قدر من المناقشات الجدلية.

- فنوع من المثقفين ينظر إلى واقع الثقافة الإسلامية فى حياتنا نظرة تشاؤمية معتمة فلا يملك إلا أن يندبها ويبكى عليها ويشق قميص عثمان... وهذا لون عصبى المزاج جامد، والجمود فى حد ذاته- ولو بحسن نيه- عبء على ديناميكية الثقافة وتقدمها.

- ونوع آخر يبدو غير متشائم ولا عصبى، ولكنه بحكم طبيعة الموقف والمصلحة يهمه جدا أن تتوه منا الحقائق... ومن ثم تراه يتباكى على الثقافة العربية والإسلامية، ويذرف عليها دموع التماسيح لغرض فى نفس يعقوب... وهذا لون معوق وقاطع طريق يريد منا أن ننكر ضوء الشمس، وأن نسب الورد بأنه متورد الخدين.

- ونوع ثالث لايبكى ولايتباكى ولكنه بحكم الانتماء جاهز بموقف ثقافى يعادى ثقافتنا العربية والإسلامية وحركتها ويتهمها بالتخلف ومجافاه روح العصر... وهذا لون من حفظة النصوص و النظريات دفع به الجهل بثقافة الأمة إلى حافة هذا الموقف الخطير.

وكل هؤلاء الجامدين والمعوقين وحفظة النظريات هم الذين يمكن أن نطلق عليهم بالمفهوم الحديث اسم " قوى الثقافة المضادة "

ومن بين هؤلاء المعوقين قوم انعقد الرأى عند جمهرتهم- فى القرن التاسع عشر- على الاستخفاف بدور العرب والمسلمين فى بناء الحضارة الإنسانية، والإصرار على أن النهضة،والحضارة الأوربية لاتدين بالفضل لغير أجدادهم من اليونان والرومان، والادعاء بأن العرب المسلمين بطبيعتهم لم يخلقوا للتفكير العلمى الأصيل المبتكر، وجاء هذا فى وقت اشتد فيه التعصب الدينى، وقوى فيه الشعور بالتحزب الجنسى الذى يؤكد تفوق الجنس الآرى الأبيض على غيره من الأجناس، وسبق أوربا فى الخلق الحضارى على غيرها من القارات، ومن ثمّ تمزقت العلاقات بين الحضارات الإنسانية، بعضها والبعض، واستقلت كل ثقافة لأمة ماعن غيرها من سائر الثقافات، وفى هذا الجو نمت الأحقاد بين الشعوب، وتهيأت الظروف لاستعمار الأقوياء للضعفاء، ثم قُدر للتعصب الدينى ، والتحزب الجنسى، أن تخفّ حدّته، وأن يعالج موضوع الثقافات العالمية، والحضارات الكبرى- فى كثير من الأحيان والحالات- بموضوعية وأمانة، وعندئذ كشف الباحثون فى مؤتمراتهم العالمية، وندواتهم الدولية، وبحوثهم العلمية عن نصوص ووثائق،رفعت الحواجز التى كانت تقوم بين الثقافات والحضارات بعضها والبعض، وأثبتت أن الثقافة الإسلامية، ربانية فى منبعها ومصدرها، أصيلة فى جوهرها، وإنسانية وعالمية فى تشريعاتها، متنوعة الينابيع، متعددة المصبات، خصبة ثرية، تركت بصماتها على الحضارات البشرية، وتاريخ الأنسانية وتقدمها، وأضفت

على التفكير العلمى حركة تبعث فيه الحياة ،وتسمو به.

ولقد تجلت الثقافة العربية الإسلامية بمختلف فروعها ومعطياتها، وألفت جانبا ضخما من جوانب الثقافة الإنسانية العامة، بهرت الباحثين على الاعتراف بقمتها، وملكت عقولهم نتائجها الفائقة، وثمارها الذاخرة، وعطائها الفياض على البشرية جمعاء، مما دفعهم دفعا إلى إجلاء قيمة الدور الذى مثلته وتمثله فى دنيا الناس وواقعهم، فأبانوا مكانتها، وسجلوا عطاءها، شاهدين بأن التراث العربى، والثقافة الإسلامية هما اللذان أنقذا التراث العقلى- من شرقى وإغريقى- فحفظاه من الضياع، وحصناه ضد التزييف، كما سجل التاريخ الإنسانى بحروف النور وعبارات الخلود، أنه لم يعرف العالم أجمع لونا من الثقافة جهله علماء العرب، أولم يكن لهم فيه قدم راسخة، وتفكير عميق، وليس هذا فحسب بل إن مفكريهم قد درسوا شتى المعارف دراسة دقيقة عميقة متفحصة، ثم هضموا وحولوا كثيراً من جوهرياتهم إلى أغذية صالحة نافعة للإنسانية، ثم كروا على الجوانب الباقية من تلك الثقافات المترامية الأطراف بالشرح والتأويل، والبحث والتحليل، والنظر والتعليل، والتفريغ والتفصيل، والتقويم والتدليل، والقياس والتمثيل، والنقد الجرئ، والحكم البرئ، والنتاج المزهر، والانتفاع المثير، الذى مازال أعلام الفكر الإنسانى بصفة عامة، والمنصفون من مفكرى الغرب بصفة خاصة، ينظرون إليه نظريات الإعجاب والاستحسان.

وهاهى بعض شهاداتهم وهى تجلى فضل العرب على الحضارة الإنسانية بأسرها، وعلى النهضة والحضارة الأوربية بأقطارها وأمصارها، وتبرز أن التراث الإسلامى بما يحمل من أصالة يُعد سجلا وافيا عميقا للفكر الإنسانى الذى توارت فيه أوربا، ولو لم يقم العرب المسلمون خلال القرون الوسطى،- وما أعقبها من قرون - بحمل رسالة العلم، وتطوير الثقافة والمعرفة، وحفظ التراث الانسانى، وحمله إلى الأجيال المتعاقبة على مر العصور ماقامت فى الدنيا هذه النهضة العلمية.

* يقول جورج سارتون :" العرب - المسلمون- عباقرة الشرق فى القرون الوسطى- وسائر القرون- لهم مآثر عظمى على الإنسانية، تتمثل فى أنهم تولوا كتابة أعظم المؤلفات والدراسات القيمة وكلها أصالة وعمق مستخدمين فى ذلك لغتهم العربية،التى كانت -ولازالت- بلا مراء لغة العلم للجنس البشرى، لدرجة أنه كان يتحتم على الشخص الذى كان يريد الإلمام بثقافة عصره، وبأحدث مايجرى من علوم أن يتعلم اللغة العربية"[1]

*ويقول لوبون:" كان فضل العرب فى الغرب عظيما، وإليهم يرجع الفضل فى حضارة أوربا".

* وقال غيره : لوحذف العرب من التاريخ لتأخرت نهضة الآداب الإنسانية عدة قرون"

*وتحدث دوزى فقال: تاه الناس فى دياجير الجهل بينما سطع نور العلم من جانب الأمة الإسلامية من علوم وفلسفة وصناعة وآداب.."

* وعبر بريسى- رغم تعصبه الأعمى لعنصريته الأوربية- قائلا: طالما أن النبى محمد صلى الله عليه وسلم - قد ترك ديناً واحداً، وامبراطورية واحدة، وحاكما واحدا ذا سلطة نافذة ألا وهو أمير المؤمنين، فما أحوج الأمة الأوربية لمثل هذا التنظيم، ولمثل هذا الحاكم القوى النافذ الكلمة" [2].

* ويقول الأستاذ دكريستو فرداوس :عن العرب أخذت التقاليد العلمية فى أوربا الحديثة، وقد أسهم العرب فى توسيع آفاق الأوربيين توسيعا لم يسبق له مثيل، إذ بفضلهم إنتقلت الى أوربا حضارات الصين والهند والفرس،وبفضل العرب إنتقلت علوم الشرق إلى أوربا لتكون شاهدة بما للإسلام من عظمة(تشريعية، وعلمية، وتربوية،

١- (تاريخ العلم)د. جورج سارتون، ترجمة محمد خلف الله وآخرين ص ٢٢.

٢- نقول من كتاب(المسلمون فى العصور الوسطى) ابراهيم على طرخان ص١٧. ١٨ بتصرف يسير.

واجتماعية، واقتصادية..) ،وفضل على الإنسان والإنسانية جمعاء»[١]

*ويبرز غو ستاف لوبون- المؤرخ الفرنسي- دور الثقافة الإسلامية في الحضارة الإنسانية على وجه العموم، وبالأخص على النهضة العلمية والحضارة الأوربية فيقول: إن فلاسفة العرب والمسلمين هم أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين.... ولقد كان تأثير الحضارة الإسلامية في العالم الغربي كبيرا خلال القرون الوسطى- بل وسائر القرون- إذ انتقلت كثير من المؤلفات العلمية من مختلف العلوم والفنون إلى أوربا، وترجمت إلى اللغات اللاتينية مرات متعددة، وكانت تدرس في المؤسسات والمعاهد والجامعات، ويعتمد عليها كمراجع أساسية، ولذلك يعترف الكثير من المستشرقين بعظمة الدور الذي قامت به الثقافة الإسلامية في اثراء الفكر الأوربي لفترة طويلة من الزمن استمرت لقرون عديدة.

ومن المعروف والثابت تاريخياً. انه في الوقت الذي كانت البلاد الإسلامية تمثل المشعل الفكري الوضّاء، الذي ينشر النور فيما حوله، ويملأ الدنيا علما ومعرفة، كانت أوربا تعيش في حالة من الجهل والتخلف، والضياع والتمزق، ولما أرادت أن ترفع عن كاهلها عبء ذلك الوضع المهين، التفتت إلى الحضارة الأسلامية تنهل من رحيق المعرفة والفكر ما أمكنها ذلك، ولذلك عكف علماؤها ورجال الدين فيها على دراسة الآثار العلمية التي كتبها العلماء المسلمون من أمثال: ابن سينا، والرازي، والبتاني، وابن الهيثم، والبيروني، والخوارزمي، والفارابي،وابن رشد، وغيرهم فكانت هذه المؤلفات تمثل المنهل العذب الذي كان طلاب المعرفة ينهلون منه»[٢].

١- نقلا من مقال د. أنور حاتم أستاذ بجامعة فريبورغ- سويسرا المجلة الرياضية العدد الأول ص١٣٥و١٣٦ سنة ١٩٧٥م.

٢- (حضارة الغرب) غو ستاف لوبون، نقلا من (أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية) ص١١٧ بتصرف.

* وأجلى الدكتور كوبلر بونج- أستاذ العلاقات الأجنبية فى جامعة برنستون بواشنطن أن الأسلام دين حضارة، وقد أضفى على كل البلاد التى فتحها وشملها ،لونا مشتركا من الفكر الديني، والعلاقات الاجتماعية والانسانية، وحضارته متكاملة وسيبقى من أجل الإنسانية مدى الحياة، وأن الغرب - بوجه خاص- مدين لحضارة الإسلام فيقول : كل الشواهد تؤكد أن العلم الغربى- والإنسانى- مدين بوجوده إلى الثقافة العربية الاسلامية، كما وأن المنهج العلمى الحديث القائم على البحث والملاحظة والتجربة والذى أخذ به علماء أوربا- وسائر الفكر الإنسانى- إنما كان نتاج اتصال العلماء الأوربية بالعالم الإسلامى عن طريق دولة العرب فى الأندلس.... وبعد فهذا عرض تاريخى قُصد به التذكير بالدين- بفتح الدال- الثقافي الذين ندين به للعرب المسلمين، منذ أن كنا نحن الأوربيين نسافر إلى العواصم الإسلامية، وإلى المفكرين العرب المسلمين ندرس عليهم العلوم والفنون وفلسفة الحياة الإنسانية.... ولن نتجاوز حدود العدالة، إذا نحن أدينا ما علينا، وسنكون أوربيين حقا إذا نحن تنسينا شروط التبادل، وأعطينا فى حب واعتراف بالجميل"(١).

هذه بعض شهادات المنصفين من مفكرى الغرب بشأن الحضارة الإسلامية، والثقافة العربية ومالعبته من دور فعال فى خدمة الحضارة الإنسانية، والنهضة الأوربية، إقتطفتها كنماذج علها تكون عبرة لجمهرة الغربيين الذين تنكروا للدور العلمى العربى ومآثره على نهضتهم وحضارتهم.

كما اخترت هذا البحث لأقدمه لقراء حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية، وهو منتخب من مادة علمية جمعتها وكتبتها تحت عنوان" الثقافة الإسلامية ودورها

١- (الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة) ص ٢٥٧ ، مجموعة محاضرات ألقيت فى مؤتمر الثقافة الأسلامية فى واشنطن سنة ١٩٥٣.

٢- مخطوط لكاتب هذا المقال، لم يأذن الله تعالى له بالطبع والنشر، أدعو الله التوفيق فيه.

فى تكوين الحضارة الإنسانية[٢]" رجاء أن ينتفعوا به إن كان كذلك-، وليعلموا الواقع المرير لأمتهم الإسلامية، وما تواجهه من تحديات سافرة تحاول بكل سلاح لديها، إحتواء العالم الإسلامى، والقضاء على الإسلام، وسحق أشياعه وأهله، وليدركوا بلغة العصر" المصدر من العالم الإسلامى لشتى أنحاء المعمورة، وخاصة أوربا، والمستورد منها إليه، وليعرفوا ماجناه الغرب- الصليبى- من الإسلام وأهله، وماذا جنى الإسلام وأتباعه منهم؟!!!!

ولكى يكون العالم الإسلامى ،وخاصة الشبيبة المسلمة على بينة من هذه السموم التى يقدمها له الغرب الصليبى، حتى يأخذ حذره، ويصون نفسه من كل مستورد ودخيل على دينه، وتراثه الثقافى الأصيل، ولاينخدع ببريق الحضارة الأوربية مهما بلغ شأوها، وعلا كعبها، فمرجعها الأول والأخير التراث العربى الإسلامى، ولاينكر هذه الحقيقة العلمية إلامكابر، ولا يجحدها إلا معاند.

ولسنا هنا بصدد بيان كنه الثقافة الإسلامية ،ولا بصدد إظهار منابعها ومصادرها، ولا محاولة إجلاء خصائصها وتصويرها.. فذلك أمر جد خطير، ذو فروع متشعبة، يحتاج كل فرع منها إلى عدة مجلدات، مافى ذلك أدنى مغالاة، وإنما نريد أن نسجل ونسطر فى بحثنا هذا نظريتين هامتين لايستغنى عنهما الباحث المنصف والممحص فى تاريخ الحياة العقلية البشرية، وستكون عنايتنا بالأخص بالنظرية الثانية وهى مارعيناه هذا: (من معطيات الثقافة الإسلامية ودورها فى نهضة أوربا حضارتها).

فأما النظرية الأولى : فهى أن الثقافة الإسلامية قسمان: أحدهما : مؤلف من العلوم الإسلامية الداخلية المحضة، التى نشأت من القرآن الكريم والسنة النبوية الغراء، وأدوات فهمهما وهى علوم التفسير، والفقه وأصوله، والتوحيد، والحديث وعلومه، والنحو والصرف وفقه اللغة.... والفضل فيها راجع إلى صميم الإسلام ذاته بصورة مباشرة، وهذه العلوم تعد جواهر الإسلام ولآلئه وأصدافه التى تمس الجواهر والدرر

فتشرف بشرفها، وتسمو بسموها، ولهذا يبذل المغرضون وأعداء الإسلام أقصى مالديهم من أجل القضاء على اللغة العربية وعلومها، لإفناء القرآن الكرين من الوجود، والقضاء على الإسلام بالزوال الذى لارجعه بعده ولاحياة، وليس هذا بغريب وعجيب من جانب أولئك الأعداء،فمن سنة الحياة وطبيعتها أن يود كل كائن فناء عدوه لاسيما إذا كان من اللألاء مايكاد يطفئ وجوده، أو يصيره خاملا ضيلا، والعجب كل العجب فى أن يجد الأعداء، من بين أبناء الأمة الإسلامية من يعتمدون عليهم فى ترويج سمومهم الفتاكة. فهل بلغ الجهل والغفلة بأبناء المسلمين هذا المبلغ الأسيف، أو هو الغدر والخيانة وشراء الذمم واستئجار الضمائر والأفئدة !!! ..

" أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وماكانوا مهتدين"[١]

ولن يصلو لبغيتهم، لأن الله تبارك وتعالى قد تكفل بحفظ دينه ورعاية أتباعه، قال تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)[٢]، وقال تعالى:(إنا لننصر رسلنا والذين ءامنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد)[٣]- والقسم الآخر:مؤلف من العلوم الخارجية التى اقتبسها المسلمون من الأجانب بطريق الترجمة، والفضل فيه راجع إلى النهضة العلمية التى أحدثها الإسلام بحضه على العلم، ودفعه أشياعه إلى التزود منه مااستطاعوا إلى ذلك سبيلا. قال تعالى : (اقرأ باسم ربك الذى خلق .خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذى علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم)، وقال تعالى : (إنما يخشى الله من عباده العلماء...)[٥]، وقال تعالى:(قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون)[٦]، والآيات كثيرة.

وقال صلى الله عليه وسلم:(طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة)[٧]،

١- سورة البقرة من الاية (١٦). ٢- سورة الحجر الأية (٩) . ٣ سورة غافر الأية (٥١).
٤- سورة العلق من الأيات (١-٥). ٥- سورة فاطر من الآية (٢٨). ٦- سورة الزمر من الأية (٩)
٧- أخرجه ابن ماجه فى سننه حديث رقم (٢٢٤). والطبرانى ١٠/ ٢٤ عن عبد الله بن مسعود.

وقال صلى الله عليه وسلم:(العلماء ورثة الأنبياء)[١].

وقال صلى الله عليه وسلم:(تعلموا العلم، فأن تعلمه لله خشيه، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعلمه لمن لا يعلمه صدقه، وبذله لأهله قربة)[٢]

وأما النظرية الثانية التى نود تسطيرها فى بحثنا هذا فهى بيان مآثر العرب المسلمين ومعطياتهم فى شتى فروع الثقافة والمعرفة على الحضارة الإنسانية بصفة عامة، والنهضة الأوربية بصفة خاصة، وإليكم نماذج منتخبة فى العناصر التالية بما يتسع به المقال، ويسمح به المجال، تبصرة لأولى الألباب فأقول وبالله التوفيق:-

وأهم العناصر التى سنجليها بصفة مجملة:-

- أولا :- أثر العلوم الطبية عند العرب فى النهضة والحضارة الأوربية.
- ثانياً :- دور العلوم الرياضية والطبيعية عند العرب فى الحضارة الأوربية.
- ثالثا:- أثر العلوم الاجتماعية لدى العرب فى الحضارة الأوربية.
- رابعاً :- أثر الفلسفة الإسلامية عند العرب فى الحضارة الأوربية.
- خامساً :- أثر الأدب العربى عند العرب فى الحضارة الأوربية.

١- أخرجه ابن ماجه فى سننه حديث رقم (٢٢٣) فى المقدمة عن أبى الدرداء باب/فضل العلماء ١/ ٨١.

٢- رواه المنذرى فى الترغيب والترهيب كتاب العلم جـ١ ص ٩٤.

اولا ** اثر العلوم الطبية عند العرب فى الحضارة الاوربية :-

لقد كان للعرب دور بارز فى تكوين التفكير العلمى فى أوربا، وخاصة فى مجال العلوم الطبية والعلوم المساعدة لها كالصيدلة والكيمياء وغيرها، ومن ثم تعد هذه العلوم من أبرز المعالم التى عنى بها العرب عناية كبيرة، واستطاعوا أن يكتشفوا ويبتكروا العديد من النظريات العلمي، وأن يؤلفوا كثيرا من المؤلفات الطبية، وقد ترجمت هذه المؤلفات العربية فى الطب إلى اللغات الأوربية واهتم بها الغربيون اهتماما بالغا، وكان لها تأثير كبير فى عالم الطب عدة قرون، كانت خلالها المصادر الرئيسية التى يرجع إليها، ويعتمد عليها، وهذه حقيقة علمية أدلى بها المؤرخون والمعنيون بهذه العلوم وأجمعوا على القول : كانت الكتب العربية فى الطب متفوقة فكرا وتنظيما وتنسيقاً على جميع ماكتب خلال القرون الوسطى ، وقد أفاد الغربيون من هذه المؤلفات بعد أن ترجمت ،وظلت تدرس فى الجامعات الأوربية حتى فى منتصف القرن السادس عشر، فى الوقت الذى حرّمت فيه الكنيسة-فى أوربا صناعة الطب لأن المرض عقاب من الله ليس من حق إنسان أن يصرفه عمن استحقه، وظل الطب والفلك وغيرها من بعض العلوم محرما فى أوروبا حتى عصر الإيمان فى مستهل القرن الثانى عشر إبان الحضارة الأندلسية[1].

وهاهى بعض شهادات علمائهم وهى تؤكد دور العلوم الطبية لدى العرب فى النهضة الأوربية كما كان لعلماء العرب والمسلمين الأثر البالغ فى إنعاش هذه العلوم وبعثها من جديد بعد موت طويل، ثم طوروها وأضافوا إليها اضافاتهم ونظرياتهم العلمية الرائعة، وأعطوا للطبيب الأهمية الجديرة بمهنته والاحترام اللائق بمنزلته ومكانته العلمية، والحق أنهم تربعوا على عرش الطب فى تلك الحقبة لا منازع لهم فيه، وكانوا أساتذة أوروبا أكثر من ستة قرون، ولازال عطاؤهم فياضا على سائر الشعوب.

١- (فى تراثنا العربى الإسلامى)د. توفيق الطويل ص ٢٢٤-٢٢٥.

* يقول الأستاذ كمبل فى هذا الصدد: انحدرت أوروبا قبل تأسيس مدرسة الرنو ء الطبية،- والتى يرجع الفضل فى تأسيسها للعرب- إلى أدنى دركات الانحطاط، فإن شعوبها لم تكن لتقارن بالهمج الأسطوريين الذين عاشوا فى حدود المدنية، وكانت أوروبا كلها حتى عصر الحروب الصليبية(٩٦ ١٠- ١٢٧٢م) باستثناء أسبانيا وصقلية- وكانت تحت حكم المسلمين- فى حالة همجية تامة"[١].

* ويقول السير وليم أوسلر فى كتابه (تطور الطب) : " إنهم- أى العرب المسلمين- أشعلوا سراجهم فى القناديل اليونانية، وبلغت مهنة الطب عندهم أثناء القرن الثامن إلى الحادى عشر للميلاد من المكانة والأهمية مالانكاد نجد له مثيلا فى التاريخ"[٢].

وعن هذه الفترة بالذات يسجل التاريخ العام: ان انجلترا فى القرن السابع الميلادى إلى مابعد القرن العاشر الميلادى فقيرة فى أرضها، منقطعة الصلات بغيرها ، تعترضها الأمراض والأوبئة المتكررة، وكانت أوروبا غاصة بالغابات الكثيفة، تنبعث من المستنقعات الكثيرة فى المدن روائح قتالة، لم يعرف أهلها النظافة، وكان من أثر ذلك - كمايقول درابر: أن عمت الجهالة أوربا وساورتها الأوهام،... ومات الطب، وحيث أحابيل الدجالين وكلما دهم البلاد وباء فزع رجال الدين- إلى الصلاة- المزعومة فى معتقداتهم- وأغفلوا أمر النظافة فكانت الأوبئة تفتك بهم فتكا ذريعا"[٣].

ولقد عرف علماء الغرب الطب- بعد انتشار الإسلام نتيجة الفتوحات الإسلامية لهذه البلاد- عن طريق مدارس العرب فى أسبانيا وصقلية بوجه خاص، وظل أطباء العرب يحتلون أرفع منزلة بين أطباء العالم حتى القرن السادس عشر، وظلت الكتب

١- نقلا من (علوم المسلمين أساس التقدم العلمى الحديث) جلال مظهر ص ٣١.

٢- نقلا من (المسلمون والعلم الحديث) عبد الرازق نوفلص ٦٢.

٣-المرجع السابق ونفس الصفحة.

الطبية العربية المترجمة إلى اللاتينية هى أساس المعرفة الطبية فى جامعات أوروبا.

ومن أهم الكتب التى ظلت عمدة للدراسة الطبية لدى الأوروبيين، كتاب (القانون فى الطب أو قواعد الطب) لابن سينا ٩٨٠-١٠٣٧م، وطبع الكتاب فى روما ١٥٩٣م، واتخذ أثرا طبياً وأساسا للدراسات الطبية فى جامعات فرنسا وايطاليا خلال ستة قرون، ويشتمل الكتاب عن خمسة أجزاء: علم وظائف الأعضاء، وعلم الصحة، وعلم الأمراض، وعلم المعالجة، والمادة الطبية.[١]

* وأعظم جراحى المسلمين هو أبو القاسم القرطبى الشهير بالزهراوى، له كتاب يدعى (التصريف لمن عجز عن التأليف) من ثلاثة أقسام: قسم طبى، وقسم صيدلى، وقسم جراحى.

يقول العالم الفيزيولوجى الشهير (هالر) مؤكدا : كانت كتب أبى القاسم الزهراوى المصدر العام الذى استقى منه جميع من ظهر من الجراحين بعد القرن الرابع عشر، وترانا مدينين لأبى القاسم بكثير من الآلات الجراحية التى تظهر صورها فى كتبه، وكتابه فى الجراحة طبع بالاتينية عام ١٤٩٧م وهو مؤلف من واحد وعشرين جزءا فى الطب والجراحة، وقد اشتمل على أكثر من مائتى شكل للآلات والأدوات الجراحية، وهو مرجع الأطباء،وأحد الكتب السبعة التى قام عليها العلاج والصيدلة فى أوربا[٢].

*مؤلفات الرازى فى الطب، وأهمها (الحاوى) ،وقد انتشرا انتشارا واسعاً فى أوربا ،وهو يعد أضخم مؤلف ألفه طبيب فى تاريخ الطب، ترجمه فرج بن سالم فى عام ١٢٧٩م فى صقلية أو فى نابولى بناءً على رغبة الملك شارل دى أنجو، وإذا كان الرازى أول الأطباء المسلمين الكبار، فقد اعتبره جميع المؤرخين للعلوم الطبية واحدا

١- نقلا (فضل الحضارة العربية الإسلامية على العالم) د. زكريا هاشم زكريا ص ٤٠٦.

٢- دائرة المعارف البريطانية، نقلا من المرجع السابق.

من أعظم الأطباء فى جميع العصور، ورجع إلى مؤلفاته الطبية جميع الأطباء فى شتى الأمم ،كما يقول مؤرخ الطب الكبير الدكتور لكلير، واشتهرت مؤلفاته شهرة واسعة فى أوروبا[١].

* وأنشأ المسلمون المستشفيات (البيمارستانات) وقسموها إلى قسمين: أحدهم : للرجال، والثانى : للنساء، وقسموا كل قسم إلى أقسام على حسب المرض الذى يعالج فيه، وأقاموا المعازل لعزل المرضى المصابين بأمراض معدية، بل لهم الفضل فى إنشاء المستشفيات المتنقلة (المحمولة).

وهو مستشفى مجهز بجميع مايلزم للمرضى والمداواة من أدوات وأدوية وأطعمة وأشربة وملابس وأطباء وصيادلة وكل مايعين على علاج وترفيه المرضى والعجزة والمزمنين والمسجونين..وهم أول من استعملو الجراحة فى العلاج، وأول من اكتشفوا وسائل التخدير فاستعملوا النباتات المخدرة للتخفيف من أثر الجراحة، وعنهم ومنهم تلقفت أوروبا ورواد فكرها هذه المبتكرات العلمية الطبية[٢].

وإذا ذكر الطب وقاداته وعلمائه فجديرنا أن نبرز علم من أعلام الأسلام وهو: (أبوليد محمد بن رشد)، فقد قسم الطب إلى سبعة أجزاء: الأول : دراسة أعضاء الإنسان، والثانى : تعريف الصحة وأنواعها. والثالث: المرض وأنواعه وأعراضه. والرابع: العلامات الصحية والمرضية. والخامس : الآلات وهى الأغذية والأدوية. والسادس : الوجه فى حفظ الصحة. والسابع: الحيلة فى إزالة المرض. وهو أول طبيب فى العالم وجه النظر إلى أن الوجه مرآة الصحة، وله مؤلفات عديدة فى الطب والغذاء وغيرها، وترجمت مؤلفاته إلى مختلف اللغات اللاتينية والعبرية، وذاعت فى جميع أنحاء العالم، بحيث اعتنقها كثير من غير المسلمين، الأمر الذى حدا بالعالم" بيكون"

١- (علوم المسلمين أساس التقدم العلمى) ص ٣٢.

٢-(تاريخ البيمارستانات فى الإسلام) د. أحمد عيسى بتصرف.

أن يقول عنه: " ابن رشد فيلسوف متين متعمق صحح كثيرا من أغلاط الفكر الأنساني، وأضاف إلى ثمرات العقول ثروة قيمة لايستغنى عنها بسواها(١).

** الصيدلة (علم الادوية) عندالعرب :

لقد جعل العرب مهنة الصيدلة (علم الأدوية منفصلة عن الطب، وظهرت الصيدلة كمهنة منفصلة عن الطب لأول مرة فى أواخر القرن الحادى عشر عندما أمر الامبراطور" فريدريك الثانى" بعدم ممارسة الطب أو الصيدلة إلا بإذن خاص ، وفتح أبواب مملكته للعلماء العرب لتدريس العلوم الطبية فى الجامعة التى أنشأها ومن الكتب التى كان على الصيادلة دراستها فى جامعة (سالرنو) دستورطبى للصيادلة به الطرق التى يجب اتباعها فى تحضير العقاقير، وذكر فيه طريقة استعمال الاسفنجة للتخدير فى الجراحات والآلام المرضية، والعرب هم الذين وضعوا أسس صناعة الصيدلة ثم راحوا يصنعون مختلف العقاقير ويعالجون بها المرضى ويدرسونها ويؤلف الكتب فيها، وفرضوا على الأطباء أن يكتبوا ما يصفوا للمريض من أدوية على ورقة خاصة كانت تسمى بأسماء مختلفة التذكرة، الصفة، النسخة، الوصفة الطبية)، ومن أعظم ماتدين به أوربا بأسرها فى علوم الصيدلة بالفضل (ابن سينا)، وقد أقر بعضهم بشاداتهم مشيدا بفضل العرب والمسلمين فى العلوم الطبية- السير هيولنستن- رئيس الاتحاد الدولى للصيدلة فى المؤتمر الصيدلى العربى الذى أقيم فى القاهرة عام ١٩٦٢م، وأيضا- الدكتورة شوار تزهب - وزير الصحة بجمهورية ألمانيا الاتحادية- فى افتتاح المؤتمر الدولى للبهارسيا بالقاهرة، حيث شهدت بذلك قائلة:-

" إن الغرب لن ينسى أبدا أنه مدين للعرب بدراسة الطب، وأن مؤلفات ابن سينا والزهراوى والرازى وغيرهم كانت هى الكتب الوحيدة التى تدرس فى جامعة بالرمو

١- (المسلمون والعلم الحديث) ص ٧٤/ ٧٨ بتصرف، (فى تراثنا العربى الاسلامى) ص ٢٢٤/٢٢٨ بتصرف.

التى أشهر مدرسة للطب فى العالم الغربى "[١]

وشهد بذلك الدكتور غريسيب- مدير جامعة برلين، ورئيس فرع الطب فيها- حيث قال فى حفل أقامة الطلاب المسلمون بمناسبة الاحتفال بالمولد النبوى الشريف: " أيها الطلاب المسلمون، والآن قد انعكس الأمر، فنحن الأوربيين يجب أن تؤدى ماعلينا تجاهكم، فما هذه العلوم إلا امتداد العلوم آبائكم، وشرحا لمعارفهم ونظرياتهم، فلا تنسوا أيها الطلبة تاريخكم، وعليكم بالعمل المتواصل لتعيدوا مجدكم الغابر، طالما أن كتابكم المقدس- القرآن الكريم- عنوان نهضتكم، مازال موجودا بينكم، وتعاليم نبيكم محفوظة عندكم، فارجعوا إلى الماضى لتؤسسوا للمستقبل، ففى قرآنكم علم وثقافة، ونور معرفة، وسلام عليكم ياطلابنا إن كنا فى الماضى طلابكم"[٢].

وقد خلف العرب العديد من كتب الصيدلة مثل :) تذكرة ابن داورد) و(البهجة والدرة المنتخبة فيما صح من الأدوية المجربة) و(غاية المرام فى اصلاح الأبدان)و(الرحمة فى الطب والحكمة) وبلغ العلماء المسلمون فى هذا المجال- وسائر فنون الثقافة الإسلامية- منزلة كريمة، ومازالت تآليفهم الكيماوية تشهد بذلك ،أما المؤلفات الأوربية فهى خير شاهدة على إشادتهم بفضل العرب المسلمين، ولايزال كثير من المصطلحات الكيماوية الأوربية يحمل الأسم العربى.

يقول الأستاذ(ميبرهوف): إن علم الصيدلة العربى استمر فى أوربا حتى منتصف القرن التاسع عشر "[٣].

*معاملة المعتوهين والمجانين لدى العرب:. ومما ينبغى الانتباه إليه هنا- أيضا -أن معاملة المجانين اختلفت اختلافاً كبيراً جدا فى العالم الإسلامى عنه فى أوربا، فقد

١-٢ نقلا من أثر العلماء المسلمين فى الحضارة الأوربية) أحمد الملاخى ١٤٢ .١٤٣.

٣-المرجع السابق السابق ص١٤٦.

كانت فكرة أن المجانين لبسوا مصابين بمرض عقلى طبيعى ، وإنماهم أناس تقمصهم الشيطان من أشأم الأفكار التى سيطرت وسادت العقل الأوربى قرونا طويلة، وطبعت معاملة هؤلاء معاملة التعساء بطابع من القسوة والبطش، ومما يجدر ذكره أن شيئا من هذا لم يحدث فى العالم الإسلامى، بل إن جميع البحث تجمع على أن معاملة المجانين فى دنيا الإسلام منذ بزوغ فجره كانت أرحم بكثير من النظام الذى ساد فى طول العالم بأسره،" ولقد لاحظ الراهب جون هوارد فى القرن الثامن عشر كما يقرر الأستاذ أندرو ديكسون وايت مالاحظة غيره من الرهبان والكهان والرحالة الأوربيين فى ذلك العصر وقبل ذلك من أن المسلمين قد وفروا كثيرا من الوسائل الرحيمة للمجانين والمعتوهين-و سائر الضعفاء- التى لم ير هؤلاء مثيلا لها فى الأراضى الأوربية ، والحق أن المسلمين هم الذين نبهوا أن الجهود التى بدأت تبذل فى أوربا ابتداء من القرن الثامن عشر الميلادى لمعاملة المجانين وغيرهم معاملة رحيمة تماما، كما نبهوا وأثاروا عقول الأوربيين فى مختلف المجالات الأخرى.[1]

* اثر الكيمياء عند العرب فى النهضة الأوربية :-

لقد أجمع الباحثون وكتاب تاريخ العلم على أن العرب كانوا أولى من أضفى على الكيمياء أصالة البحث العلمى ، وتعد طريقتهم فى البحث من أعظم الطرق العلمية فى القرون الوسطى، وفضلهم على هذا العلم لايحجده إلا معاند، ولا ينكره إلا مكابر، وهو علم العرب المسلمين- بلا ريب- فقد وضعوا أسس نظرياته التى نسج منوالها علماء الكيمياء فى مختلف الدول،وكتب المسلمين فى هذا العلم تثبت تفوقهم، وتؤكد نبوغهم فى شتى فروع الثقافة، وهاهى المكتبات الأوربية ذخيرة حية، وخير شاهد على ماتسجل ونسطر، ففى مكتبات فرنسا وألمانيا وايطاليا اكثر من ثلثمائة مرجع فى مختلف فروع الكيمياء- وسائر العلوم الأخرى-، وفى المتحف البريطانى

١- (علوم المسلمين ص ٤٩، ٤٠ بتصرف.

مايربو على ثمانين مؤلفا اتخذها رواد الكيمياء بانجلترا مصادر ومراجع رئيسة لدراسة هذا العلم .

ويشهد فى هذا الصدد العلامة هوليارد- أستاذ الكيمياء بكلية كليستون بانجلترا ، والذى اعتبر اكبر أساتذتها فى أوائل القرن التاسع عشر- بأن سبب نبوغه فى الكيمياء إنما يرجع إلى تعلمه اللغة العربية وإجادته التامة لها ودراسته للكيمياء العربية.... ولم يترك هو ليارد مناسبة إلا وأشاد بالمسلمين الذين وضعوا أصول الكيمياء الحديثة التى تدرسها الآن[١].

ويقرر ول ديورانت أن : الكيمياء فى صورتها العلمية انجاز حققه العرب المسلمون، إذ أدخلوا عليها الملاحظات الدقيقة والتجربة العلمية المتقنة، واخترعوا الأنبيق وأعطوه هذا الأسم العربى فى اللغات الأوربية، كما كانوا أول من فرق بين الحوامض والقلويات، وأول من اكتشف العلاقة بينهما،ودرسوا ووصفوا مئات العقاقير، ومن أهم ابتكاراتهم أنهم كانوا أول من طبق الكيمياء على الطب، ثم انهم أول من أدخلوا التجربة الموضوعية فى دراسة الكيماء والعلوم الطبيعية[٢].

وأحصى المؤلفون العرب الآلات التى استخدمها علماؤهم فى بحوثهم الكيمائية، فكان منها فيما يروى محمد بن أحمد الخوارزمى فى كتابه" مفاتيح العلوم": الكور والبوطق والماشق والراط، وكان من آلات التدبير: الأنبيق والزق والموقد... وكان من العقاقير التى استخدموها فى بحوثهم الملح بأنواعها المختلفة، والزاجات (البللورات) والنوتيا واللازورد والكحل والزرنيخ؛[٣] وغير ذلك كثير مما يعرفه المختصون فى ميدان علم الكيمياء.

١-(المسلمون والعلم الحديث) ص ٤٩.

٢- (علوم المسلمين..) ص٢١.

٣- (فى تراثنا العربى الأسلامى) ص ٢٣٠ بتصرف يسير.